وداعًا 2021

يوم واحد يفصلنا عن نهاية سنة من السنوات الأصعب إطلاقًا. قرارات مصيريّة تم اتخاذها هذا العام، وانجازات تم تحقيقها. اعلم جيدًا كم كانت هذه السّنة عصيبة على الجميع. دخلناها على أمل أن تكون سنة خير وتفاؤل اختلفت موازين هذا العالم الكبير.. لمجرد فيروس صغير!

لعلّ ما نكرهه من الأمور هو خير لنا ولكننا لا نعلم. صحيح أنّها كانت سنة متعبة على الكل بدون استثناء لكنّها علمتنا الكثير الكثير وتخلّصنا من الكثير من المظاهر الكاذبة.

1) وداعًا 2021 فمنك تعلّمت أن أعرف قيمة المنزل، وأنّ العائلة هي السند الذي لا يخذلك مهما كلّف الأمر.

2) وداعًا 2021 فمنك تعلّمت ألّا أرفع سقف توقّعاتي بالنّاس لأنهم يتغيّرون، فمن عملت له معروفًا أدار ظهره واختفى. وأنّ البعض لو أضأت لهم أصابعي العشرة شمعًا فلن يرضوا عني.

3) منك تعلمت أنه ليس هناك أقل أدبًا ولا أكثر فظاظة من بعض الناس، فالذين ساعدتهم هم الذين سنتقي شرّهم، وأنّ الطعنة تأتي ممّن مددنا لهم يدنا للمساعدة.

4) منك تعلّمت أنّ بعض النّاس يكرهوننا لمزايانا وليس لعيوبنا. وأنّ الناس إمّا مُحب وإمّا مُبغض، والمحب سيحزن لأجلي والمبغض سيشمت بي، فلا أشكو بثي وحزني إلّا إلى الله.

5) منك تعلّمت ألّا أقصص على الجميع كل خير وهبني الله إياه، لأنّ البعض عيونهم ضيّقة وقلوبهم أضيق. وألّا أبوح مخاوفي كي لا يحاربني الناس بها.

6) منك تعلّمت أنّ السّعي لاحترام النّاس أمر محمود ومحبّذ، ولكن يجب ألّا يتعارض مع احترام الإنسان لنفسه وذاته أولاً. تعلّمت أن احترم نفسي لأجعل النّاس يحترمونني.

7) تعلّمت أنّ البعض لا تحلو بدونهم الطريق، وأنّ الطّيور على أشكالها تقع. وتعلّمت: "رافق المسعد تسعد"، وأنّ الطّيبون للطّيبات وأنّ الحنان لا يُنقص من الرجولة إنّما يزيّنها. وأنّ خير الأزواج ألينهم قلبًا وأحسنهم عِشرة، وأرقّهم غزلًا.

8) تعلّمت من هذه السّنة أنّ أقسى ما نواجهه اليوم ليس البطالة في الأعمال إنّما البطالة في الأحاسيس والمشاعر.

9) تعلّمت أنّ العائق لا يكمُن في ارتفاع أسعار الطّعام في المطاعم وازدياد أنواعها وأصنافها، وإنّما العيب في انخفاض سعر الحب على موائدنا وأنّه ليس الافتقار إلى الأسرّة في المستشفيات بل برودة أسِرّة غرف نومنا! وليس ندرة الورد بل اختفاء الذين يقدمونه إلى أحبّتهم.

10) من هذه السّنة تعلّمت أنّ الاهتمام أهم من الحب، وأنه لو خيّروني بين شخص يحبّني وشخص يهتم بي لاخترت الشّخص الذي يأسرني باهتمامه، فلا فائدة من حب بلا اهتمام. وانّ الاهتمام يصنع من الحب شيئًا عظيمًا. وأنّ النّاس يجفّون من قلة الاهتمام كما يجفّ الزرع من قلة الماء.

11) من هذه السّنة تعلّمت أيضًا أنّ البيوت الكبيرة والقصور ليست إلّا قبورًا دُفن فيها النّاس أحياء، وأنّ كثيرًا من الأساور والقلائد الذهبيّة ليست إلّا أغلالًا وقيودًا في أيدي ورقاب النّساء اللواتي يملكن كل شيء إلّا طعم الحب والحنان والاهتمام.

12) منها تعلّمت أنّ المال أفضل خادم وأسوأ سيد، وأنه إذا وُضع فوق الرأس خَفَضَ، وإذا وُضِع تحت القدم رَفَعَ.

13) ومنها تعلّمت أنّ المال يشتري الدواء ولا يشتري الصّحة، يشتري السّرير ولا يشتري النّوم، يشتري النُكتة والطُرفة ولا يشتري الضحكة وهداة البال.

14) منها تعلّمت أيضًا أنّ المرأة هي عماد المجتمع، فهي الزوجة والأم والخالة والعمّة والبنت. وأنّ المرأة في بعض المواقف تساوي ألف رجل! وأنّ المرأة أنثى مع زوجها ورجلًا مع غيره! فهي نصف المجتمع وهي التي تلد وتربّي النّصف الآخر.

15) من هذه السّنة العصيبة تعلّمت أنّ العدل بين الأبناء مطلب ضروري، وأنّ الآباء يوغرون صدور أبنائهم على بعض دون أن يشعروا. وأنّ بعضهم يُفضّل بعضهم على غيره دون

سبب أو بسبب. ومنها تعلّمت أنّ تربية الأبناء أهم من تكوين المال وبناء القصور وشراء السّيارات الفاخرة.

16) من هذه السّنة تعلّمت أنّ القوّة دون أمانة تعتبر استبدادًا، وأنّ الأمانة دون قوة لا تقوم لها على الأرض دولة.

17) وتعلّمت منها أنّ الوطنيّة الحقيقيّة ليست في الخطب الرنّانة، والادعاءات الفارغة، لكنها في تلك الممارسات الصّغيرة التي تعترضنا كل يوم وتضع حبّنا للوطن على المحك.

18) كما تعلّمت متها أنّ الخير والشرّ ليس في الأشياء، وإنّما طريقة استخدامنا لها. وأنّ من طبائع الانسان أن يدافع من اخطائه بشراسة أكثر ممّا يدافع عن صوابه.

19) ومن هذه السّنة تعلّمت أنّ في السّجن مظاليم كثر، وأنّ النّاس قد يدخلون السّجن عقابًا على عدم ارتكابهم الذنب، وأنّ الحرية مطلب لكل حي يسعى على الأرض، وأنّ الظلم قديم في النّاس.

20) ومنها تعلّمت أيضًا أنّ المناصب تكليف لا تشريف. وأنّ الفساد يكون غالبًا من سوء الإدارة لا من قلّة الموارد، فنحن بحاجة إلى عقليّة جديدة من الإدارة والسّلطة ليرتقي المجتمع مثل باقي شعوب العالم المتنوّر.

21) في هذه السّنة تعلّمت أنّ القائد الفذ لا يضع نفسه في موضع أن يكسر من معه أو يكسروه، فإنّه إن كسرهم تبعوه بعد ذلك على بُغض، وإن كسروه ضاعت هيبته. لذلك علينا ألّا نوصل الأمور إلى مفترق طرق لئلّا نكسر أو نُكسر.

22) منها تعلّمت درسًا أنّ العالم مليء بمنافقي السّلطة والمنصب، وأنّ أصحاب المناصب سيعرفون عندما تزول مناصبهم أنّ هذا التوقير والتبجيل لم يكن لهم إنّما كان للكراسي التّي يجلسون عليها. لا مجد للنّاس المجد للكراسي!

23) من هذه السّنة تعلّمت درسًا أنه ليس من العيب أن نخطئ، وإنّما أن نستمر بالخطأ. تعلّمت أنّ علينا أن نسعى إلى المناصب، وأن نجمع المال، وأن نحقق مركزًا مرموقًا، وأن

نكون ناجحين مميّزين، لكن ألّا ننسى الصعود بالأخلاق، وأن نرفق بالذين سنقابلهم في طريق صعودنا وأن نتذكر أن لا أحد يبقى بالقمّة.

لا يصح أن ننهي حديثنا بدون طرفة:

يُحكى أنّ رجلًا أصابه فالج فأقعده، والمثل يقول: "فالج لا تعالج". وكان الرّجل ملحاحًا كثير التذمر لا يستقر على حال ولا يهدأ له بال. فابتكر أولاده طريقة لتسليته، وهي أنّهم استأجروا أحد رُواة القصص ليجلس إليه باستمرار ويسلّيه بما عنده من قصص وأخبار، لقاء نصف ليرة في النّهار، إلى أن أخذ الله منه أمانته فأراح واستراح.

وحدث بعدئذٍ أنّ رجلًا آخر في القرية شاخ وأقعده عجزه عن الذهاب والإياب، وكان كثير الكلام يسعده أن يجد من يصغي إلى أحاديثه باهتمام، ففطنت زوجته إلى الراوي نفسه ودعته وقالت له: "دفع لك الجماعة نصف ليرة في النّهار لقاء أحاديث متواصلة كان عليك أن تجتهد لتدبيرها وأن تتعب في سردها، أما أنا فكل ما أطلبه منك أن تجلس فقط إلى زوجي وتصغي إلى أحاديثه، بدون عناء، وأدفع لك الأجرة نفسها.

فقبل الراوي، وباشر عمله بالجلوس والإصغاء إلى الرّجل الذي صدف أنّ لسانه كان لا يزال سليمًا مُعافى، دون سائر أعضاء جسمه.

وهكذا بدأ الرّجل يتكلم بدون انقطاع، فيأخذ الراوي ويردّه، ثم يعيده بالحديث إلى حيث بدأ به ثم يسأله: "أين صرنا بالكلام"؟ فيبدأ القصة أحيانًا من طرفها ثم يعود إلى أولها... "وفُتناك بالكلام"..."ونرجع لموضوعنا"..."وبلا مؤاخذة من حضرتك "... "ونعود إلى السّابق"... "ويرحم بيّك"...

ولم تكد تمر ساعة من الزمن حتى ضاق صدر الراوي وفرغ صبره، فنادى زوجة الرّجل وقال لها: "بدي أعرف مين حَدّلك سعر السّكوت مثل سعر الحكي؟! استلمي زوجك! أنا رزقي على الله".

أرجو أنني لم أسبب لكم الضّيق بكلامي كما حدث مع الراوي

وكل عام وأنتم بخير

أ.أيمن جبارة